لُغتي.. وعينٌ على سائقِ الأُجرة.(*)

بقلم: جهاد نعمان.

١

عن لُغتنا في غربتها..

هناك حقيقة لا محيد عن التسليم بها، وهي أن اللغة العربيّة تبتذل في الحياة العامة ابتذالًا مهينًا، سواءٌ في الكلام المقول أو الكلام المكتوب، وأنها تخلي مكانها في كثير من الأحيان للهجات العاميّة السقيمة، وأنها في الأغلب الأعمّ «ترصعها» أغاليط النّحو والصرف، ودع عنك أنها تجافي البلاغة والبيان كلَّ مجافاة.

وهذه الظاهرة التي نأنسها في الحياة العامّة تعود بأصولها إلى المدرسة، وهي المكان الذي تُعلّم فيه اللغة العربيّة وأصولها، ثمَّ يتراخى الاهتمام باللغة بعد ذلك، حتّى في معظم الكليّات التي تقوم أصلًا على اللغة وآدابها.

والسؤال هو: هل العلّة كامنةٌ في اللغة نفسها وهي في تطوّر مطّرد في عُرفنا، أو كامنة في نظم تعليمها وتلقينها أو في القائمين على تعليم اللغة، وهم المدرّسون الذين نيطت بهم هذه المهمّة؟ وإذا عُرف مكمن العلّة، فهل من سبيل إلى معالجتها على نحو تتراءى آثاره في الحياة العامّة قولًا وكتابةً؟

اللغة العربيّة لغة غنيّة بمفرداتها وألفاظها، سخيّة وتراثها، بحر في قواعدها ونحوها، وهي لغة أسلست قيادها على الدّهر لأسباب التطوّر والنّماء، وصمدتْ لكلّ محاولة أريد بها النيلُ منها والقضاء عليها، وهي لغة اتّسعت ألفاظها للعلوم والحضارات، ومرنت تركيباتُها للخيالات والأوهام، بل للرموز والأحاجي، وصلحتْ لكلّ أنواع التداول والتفاهم، ولم تضِق بها وسائلُ الطباعة أو فنونُ الخطّ والكتابة. وأُفردت لها عشرات من المعاجم اجتهد واضعوها في رصد ألفاظها ومعانيها واشتقاقاتها ومصادرها.

لغتنا إذًا محيط شاسع عميق القرار، ولا يَضيره أن يعجز السابحون عن عبوره، وهي لغةٌ معطّرة بأريج آدابها وفنونها، وهناك كثرةٌ من الفرنجة استشرقوا وتبحّروا في لغة الضاد ونشروا كثيرًا من كنوزها المخطوطة والمطمورة، ولم ينفضوا منها اليدَين بدعوى صعوبتها واستقصائها!

فلنيسّر النحوَ ولنُغنِ لغتَنا بالجديد من الألفاظ والمعاني ونحت المصطلحات التي تتيح للغة أداءَ رسالتها في خدمة العلوم والفنون والتكنولوجيا ونشرِ أسباب الحضارة والعمران.

نطلب من المسؤولين إعادة النظر في المناهج بعيدًا من طرائق الاستظهار الببغائيّ السائد، وفي اتّجاه إعمال العقل وتنشيط التفكير واستنهاض الهمم لدى أجيالنا الصاعدة فعلًا!

هل مَن يقوم بخطوات جريئة من هذا القبيل؟ وهل نلقى مسؤولًا يضبط لغة المتحدّثين في المذياع والتّلفاز، فيساهمَ ولو إلى حدّ ما في جعل لغتنا تستقيم على المسارح وفي السينما وحتّى على ألسنة المطربين والمطربات؟؟!

إشارة:

❖ - هذه المقالة من الأكاديميّ الصديق بعنوان أصل هو «أنقذوا اللغة العربيّة»، أمّا العنوان الجامع للمقالين فمن إحداثاتنا.